Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنَّ يُشْعِلْنَ فى أفئدتهم من نار الحب المحرقة. ومن أروع الأشياء حقا أن نقرأ هذه المقدمات الغزلية عند ابن حَيّوس وابن عُنَيْن فى دمشق وعند الحاجرى والتلعفرى فى العراق وعند ابن زيدون وابن خفاجة فى الأندلس وعند شعراء مصر مثل ابن سناء الملك القائل فى افتتاح إحدى مدائحه للسلطان العادل الأيوبى:

أَلْقى حبائلَ صيْدٍ من ذَوَائبِهِ فصادَ قلْبِى بأشْراكٍ من الشَّعَرِ
حالى الجُفُونِ بِحَلْيٍ لا شبيهَ له وهل سمعتم بِحَلْيٍ صِيغَ من حَوَرِ

ولا يقلُّ عنه إبداعًا وروعة فى هذا الغزل الذى تفتتح به المدائح ابن النبيه ويشتهر بغزليات له بديعة.

٤

بجانب ما تحمل مقدمات المدائح من روائع الغزل والنسيب تحمل أيضًا مشاهد الطبيعة، وكانت فى العصر الجاهلى - كما أسلفنا - تحمل مشاهد الطبيعة الصحراوية، وأخذت - منذ العصر العباسى - تحمل مشاهد الطبيعة الحضارية برياضها وبساتينها وأشجارها وأزهارها وأطيارها وجداولها المترقرقة. ومن أمتع الأشياء قراءة هذه المشاهد عند العباسيين وما صوّروا فيها من جمال الطبيعة فى الربيع حين تبتهج بمقدم الشمس وحين تكتئب وهى تراها فى النزع الأخير ساعة الغروب، وفى كل مكان من رياضها يداعب النسيم الأغصان وتملأ الطير الجوّ شَدْوًا وغناء. وقد أودع كبار الشعراء مدائحهم لوحات باهرة للربيع، يتقدمهم فى ذلك أبو تمام ولوحته فى رائيته التى مدح بها المعتصم تموج بالروعة، ولا تقل عنها روعة وجمالا فنيا لوحته التى رسمها بين يدى مدحة دالية، وفيها صوّر الربيع فى الطبيعة تصويرًا فاتنا. ولفته ساق أو قمرىّ وقمرية يتراشفان رحيق الهوى. فنقل صورتهما وما يتساقيان من الحب إلى لوحته قائلا:

ساقٌ على ساقٍ دعا قُمْرِيَّةً فدعتْ تقاسِمُه الهوى وتَصِيدُ